بيتر باخمان

غوتهولد أفرائيم ليسينغ
(١٧٢٩ - ١٧٨١)
وحكاية الخواتم الثلاثة

ملحوظات حول آثار الشرق العربي والاسلامي
على مؤلفات الشاعر الناقد الألماني

دار الشروق

غوتهولد أفرائيم ليسينغ

(١٧٢٩ - ١٧٨١)

وحكاية الخواتم الثلاثة

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: 93091 SHROK UN
SHOROUK INTERNATIONAL: 316/318 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL 637 2743/4, TELEX SHOROK 257790

الإهـــداء

إلى الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف
والدكتور عبد الغفار مكاوي
الزميليـن الصديقيـن المصريـين
اللذين لا يزال نشاطهما في الدراسات
اللغويـة والأدبيـة قدوة تحتـذى

المؤلف الالماني

Maximi Plane cordis est, per omnia ad dialecticam confugere, quia confugere ad eam ad rationem est confugere, quo qui non confugit, cum secundum rationem sit factus ad imaginem dei, Suum honorem reliquit.

Berengarius Turonensis,
De Sacra Coena.

إن رأس الحكمة هو اللجوء في كل شيء إلى طريقة الجدل ، لأنّ اللجوء إليها هو اللجوء إلى العقل . فمن لم يلجأ إليه ، وقد جعله الله على صورته من حيث أنّه شاركه العقل ، كان بمثابة من تخلّى عن شرفه .

من كتاب في العشاء الربّانيّ المقدّس الذي ألّفه المفكّر الفرنسيّ المدرسيّ بيرينجار التوروني المتوفى سنة ١٠٨٨ م الذي عُني ليسينغ ببعض مؤلفاته سنة ١٧٧٠ م .

كنا في أيام صبانا نقرأ كتباً ننكب عليها وننشغل بمحتوياتها وصيغها اللغوية عما يحدث في العالم الواقعي حولنا ، فكأنما كنا نعيش في عالم بعيد عن واقعنا ، وهو العالم الذي كانت هذه الكتب تخيل إلينا أنه هو العالم الواقعي . وتدخل في هذا الباب كتب الخرافات والأساطير والمغامرات . وقد تكون بينها كتب أوروبية يعدّها العلماء من التراث العالمي «الكلاسيكي» ، أمثال رواية دانيال ديفو لمغامرات روبنسن كروزو والحكايات الشعبية التي جمعها وحققها الأخوان «يعقوب وويلهلم غريم» ، ومنها كتاب شرقيّ عربي ذائع الصيت ، وأعني به حكايات ألف ليلة وليلة ، التي كنا نقرؤها فنتصور أنها تنقلنا من واقعنا الأوروبي الغربي إلى المشرق العربي الإسلامي وإن كان ذلك المشرق المصوّر في تلك الحكايات يختلف عن المشرق الواقعي . فعلى الرغم مما نجد في بعض تلك الحكايات من الوصف الواقعي الرائع فهو وصف لمشرق أصبح في خبر كان.

وحينما عثرت على مؤلفات غوتهولد أفرائيم ليسينغ وقرأت بعضها لأول مرة وكنت ما أزال طالباً بالثانوية آنذاك ، وجدت بين مسرحياته مسرحيته المسماة باسم بطلها «ناتان الحكيم» وهي التي لفت مؤلفها نظر القارئ إلى مشرق عربي أقرب إلى المشرق الواقعي منه إلى

المشرق المتخيل عن أيام دولة هارون الرشيد . ومع ذلك ، فلم يخل تصوير ليسينغ لذلك المشرق من العناصر الخيالية ، وبالرغم من أنه كان اعتمد على مصنفات بعض مؤرخي الشرق والغرب عندما ألف تلك المسرحية ، فلم يكن يقصد تقديم مسرحية تاريخية ، وإنما كان يهدف من تأليف (ناتان الحكيم) التدليل على آرائه الفلسفية وتصويرها ، ولذلك أنشأ حبكة تلفت إليها أنظار المشاهدين وتمكن المؤلف من إيصال رسالته الفلسفية إلى أذهانهم وقلوبهم في آن واحد . ولم أكن أدرك رسالة «ناتان الحكيم» آنذاك إدراكاً تاماً أو أهتم بإدراكها ، فالطالب الشابّ يفتقر إلى التجارب والخبرة التي تمكنه من إدراك الآراء الفلسفية حق إدراكها ، فضلاً عن عدم اهتمامه أصلاً بمثل هذه النظريات والآراء ، وهو غض الإهاب تبهره الظواهر وحدها ، لذلك كانت القصة الشرقية التي قصها «ليسينغ» علينا في مسرحيته «ناتان الحكيم» هي التي سحرتني حينذاك ودعتني إلى إعادة قراءتي لها ، إذ كانت من المؤلفات التي جذبتني إليها بقوة . لقد أعطاني ليسينغ صورة من المشرق العربي وجدتها غير بعيدة عن الواقع الشرقي ، لما زرت الشرق وتعرفته فيما بعد ، كما استطاع ليسينغ تقريب الشرق منا نحن الغربيين مما يدل على إحساسه بمميزات طريقة الحياة الشرقية ودقة شعوره بخصائص البيئة العربية . وإننا لنعجب من قدرته الفنية لعلمنا أنه لم يستمد صورته للشرق الأدنى إلا من كتب راجعها واطلع عليها ، فهو لم يزر من البلدان الأجنبية إلا هولندا والنمسا وإيطاليا .

اشتهر ليسينغ باشتراكه ونشاطه في تطوير حركة التنوير التي

امتدت إلى ألمانيا من موطنها الفرنسي . ولعل شهرة ليسينغ المفكر المتطلع إلى تقويم التنوير تجعلنا ننسى أنه كان شاعراً نابغاً يستحق أن يذكر بين شعراء ألمانيا الكلاسيكيين ، وإن كانت فطنته ويقظته وسرعة خاطره لا ترقى عند الألمان إلى الصورة الرومانتيكية التي كونوها عن الشعراء ولم تزل تسيطر على أذهانهم حتى اليوم . بل إن بعضهم يذهب إلى أن ليسينغ المفكر الناقد صاحب التنوير ينقصه العبقرية والعمق الواجب توافرهما لدى الشاعر الحقيقي الكبير . وأن من يزعم ذلك لا يدرك أن العبقرية والعمق المطلوبين يتوافران حقاً لدى ليسينغ الشاعر وإن كان يسترهما وراء مهارته الفنية وظرفه الإنساني وذكائه العقلي .

تبين لي أنه لم ينقل من مؤلفات ليسينغ إلى اللغة العربية إلا ملهاته المسماة باسم بطلتها «مينا فون بارنهلم» وهي التي ترجمها الدكتور مصطفى ماهر وأصدرها في القاهرة سنة ١٩٦٥ . لذلك عزمت على ترجمة جزء مختار من مسرحية ليسينغ الأخيرة ، المسماة باسم بطلها «ناتان الحكيم» ، لأنني رأيتها جديرة بأن تقدم إلى القراء العرب . وأحجمت عن تعريب المسرحية برمتها مقتصراً على ترجمة الأبيات التي تعد خلاصة الرسالة التي أراد ليسينغ إبلاغها إلى مشاهدي مسرحيته وقرائها ، وهي أبيات روى فيها ناتان التاجر اليهودي الحكيم الحكاية المشهورة بحكاية الخواتم الثلاثة . وإن سأل سائل : لماذا يُقْدم مستعرب ألماني على ترجمة تلك الأبيات الألمانية إلى العربية ، وليست بلغته ، قلت إنما حاولت نقل تلك الأبيات إلى لغة ليست لغتي ، لأن عملية الترجمة أتاحت لي فرصة إنعام النظر في الصيغة

اللغوية لتلك الأبيات ، كما هيأت لي فرصة التفكير المتأني في معاني الأبيات ومحتوياتها المركّبة المتراكبة . كنت قد قرأت هذه الأبيات أيام شبابي ، ثم عدت إلى قراءتها مراراً ، ثم استمعت إليها مُنْشَدة على المسرح ، بل لقد حفظت منها عدداً كبيراً ، وظننت أني كنت قد استقصيت مغزاها وحلّلت ما فيها من المشكلات اللغوية والدلالية التي لم أكن أنتبه إليها عندما كنت أكتفي بقراءة المستمتع بالقراءة وليس المقبل على الترجمة .

أما الترجمة التي حاولتها للأبيات المذكورة ، فقد تحولت إلى نوع من الشرح الذي آمل أن يمكّن القارئ العربي من إدراك معاني أبيات الشاعر الألماني . وتمهيداً لشرحي ذلك كتبت مقدمة موجزة عن حياة ليسينغ وتفكيره ، تعرضت فيها لموقفه من الديانات التي أوحى بها الله إلى الناس ، وذلك لأن مسألة الديانات الثلاث المتخالفة المتقاربة هي بعينها مدار مسرحية «ناتان الحكيم» . وأرجو أن تتمكن مقدمتي على إيجازها من تزويد القارئ العربي بالمعلومات التي تتضح معها صورة ليسينغ الشاعر الناقد المفكر الذي لا يزال يحضنا على إمعان الفكر في آرائه وأفكاره وان من يشعر بغرائب الاتفاقات في حياة الناس ، ليدهش عندما يتبين أن سنة ميلاد ليسينغ ، أي سنة ١٧٢٩ ، هي السنة التي قدّم فيها يوحنا سيبستيان باخ إلى المستمعين في مدينة «لايبسيك» مؤلّفه الموسيقي المسمى بـ «قصة آلام المسيح كما رواها المبشر متى .» ومن المدهش أيضاً أنّ سنة وفاة ليسينغ أي سنة ١٧٨١ ، هي السنة التي نشر فيها الفيلسوف «عمانوئيل كانط» كتابه في نقد العقل المحض ، فليسينغ ولد في السنة التي

استمع فيها مواطنوه لأول مرة إلى مؤلف يعدّ من روائع الموسيقى الدينية المسيحية ، وتوفي في السنة التي نشر فيها كتاب يعتبر محطم الميتافيزيقا الأوروبية الدجماطيقية أو القطعية . وإذا التفتنا إلى معنى كل من هذين التاريخين ، رأينا أن عصر ليسينغ ، وهو العصر الموصوف بعصر التنوير ، كان عصراً حافلاً بانقلابات فكرية ودينية ، وكانت تلك الانقلابات توازي الحروب التي طحنت الأراضي الألمانية .

كان ليسينغ من أولاد قسيس رباه في بيته في مدينة كامينتس السكسونية الشرقية حتى بلغ الصبي السنة الثانية عشرة من عمره ، ثم التحق بالمدرسة الثانوية المشهورة في مدينة مايسن ، وكانت تلك المدرسة من المدارس التي أسسها أمير من أمراء سكسونيا في القرن السادس عشر وخصصها لتربية صفوة شباب سكسونيا المختارين من طبقتي الاشراف والبورجوازية . وخطا ليسينغ خطوات واسعة في دراساته اللغوية والأدبية وفي علم الرياضيات ، حتى أصبح من الراسخين في علم اللغتين القديمتين ، اليونانية واللاتينية واطلع اطلاعاً واسعاً على المسرحيات الرومانية . ولما كان والد ليسينغ قسيساً ، فقد أراد أن يدرس ابنه علم اللاهوت كذلك . وأطاع ليسينغ أباه فدرس اللاهوت في جامعة لايبسيك من سنة ١٧٤٦ إلى سنة ١٧٤٨ ، غير أنه درس في الوقت نفسه علم اللغات وشيئاً من الطب . والحق أن ليسينغ لم يكن يتابع دراساته الجامعية بقدر ما أراد منه والده أن يتابعها . وكان السبب في ذلك أن الأدب المعاصر والمسرح في مدينة لايبسيك كانا يشغلان الطالب الشاب عن القيام بواجباته العلمية .

بل أن ليسينغ كان يشترك مع أصدقائه من الأدباء في تأليف مسرحيات مضحكة محتذياً في تأليفها بالمسرحيات الرومانية القديمة والفرنسية العصرية .

وزار ليسينغ مدينة برلين عاصمة بروسيا لأول مرة في سنة ١٧٤٨ وكان ملك بروسيا فريدريش الثاني يشد أزر رجال التنوير ، فدعا الكاتب الأديب الفرنسي فولتير إلى قصره ، ولبى فولتير دعوة الملك وبقي في برلين من سنة ١٧٥١ إلى سنة ١٧٥٣ . وكان ليسينغ حينئذ يشتغل بأعمال صحفية هناك ، فألف مقالات نقد فيها ما أصبح تحت متناول يده من كتب الأدب والعلم ، وترجم كتباً فرنسية إلى الألمانية ، منها مؤلفات لفولتير ، وأعجب باجتهاد الكاتب الفرنسي في سبيل تنوير العقول ، وشارك ليسينغ بعض الأدباء الألمان في ترجمة مقالة لفولتير عالج فيها تاريخ الحروب الصليبية ـ تلك الحروب التي جعل ليسينغ منها حبكة مسرحيته « ناتان الحكيم » آخر مؤلفاته المسرحية . ويجدر بالذكر أن فولتير لم ينظر إلى الحروب الصليبية نظرة المؤرخ المسيحي المتعصب ، بل حاول تطوير نظرته ليحيط بمواقف المسلمين ويعالجها حق المعالجة . وكان هذا بعينه ما نواه ليسينغ في دراساته التاريخية ، وما أوسع رحابة صدره وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وابن قسيس ! .

أما في أثناء السنوات التي قضاها في برلين ، فكان يعنى بتأليف مسرحيات مضحكة ومحزنة ، منها مسرحيتان لا بد لنا من ذكرهما هنا إحداهما ملهاة ، عنوانها « اليهود » . والمهم أن ليسينغ كاتب عصر التنوير لم يكن يسخر فيها من اليهود إطلاقاً ، بالرغم من أن

الكثير من مواطنيه المسيحيين كانوا يحتقرون بني إسرائيل بل إن ما قصد إليه ليسينغ بمسرحيته تلك إنما هو السخرية من المسيحيين الذين يعوقهم ضيق أفقهم عن اعتبار اليهود إخوتهم في الإنسانية وأقاربهم في الدين . ومغزى تلك المسرحية ليس بعيداً عن مغزى مسرحية ليسينغ الأخيرة ، وأعني بها «ناتان الحكيم» ـ ثم لا بد لنا من ذكر المسرحية المحزنة التي نشر ليسينغ جزءاً منها في سنة ١٧٤٩ ـ وهي السنة التي جرى فيها من الحوادث ما جعل ليسينغ يتَّخذ منها حبكة مأساته المسماة باسم بطلها السويسري «صاموئيل هينتسي» . ولسوء الحظ لم ينشر الشاعر إلا جزءاً من تلك المأساة . وبطل المسرحية هينتسي من أهل مدينة بيرن السويسرية التي كان أصحاب السيطرة عليها قد تسببوا في فساد الإدارة بها . وكان إفسادهم هذا هو الذي دفع هينتسي وأصدقاءه إلى مقاومة حكام مدينتهم ، إلا أن المقاومين انهزموا ، ثم أعدم بعضهم ، ومنهم رأس المؤامرة «صاموئيل هينتسي» . ويتبين من هذا الموجز الذي قدمناه لمأساة ليسينغ ، أن دفاعه عن البطل البورجوازي المقتول عمل أقرب إلى الصحافة السياسية منه إلى الأدب التقليدي . وكثير من مؤلفات ليسينغ ولا سيما من مسرحياته يكشف عن قرب الكاتب إلى العمل السياسي . ومن هنا نفهم أن السبب الذي جعل ليسينغ يتردد في أن يسلك سبل العلم ، هو ما رآه من بعد العلماء عن الحياة الاجتماعية والسياسية ، أعني ترفعهم عن تحمل المسؤوليات في صالح مجتمعهم . ونتج من إدراك ليسينغ لهذا تحوله إلى الصحافة وتأليف المسرحيات السياسية وإن دوام الاطلاع على الكتب العلمية مثابراً على التفكير فيما وجد فيها .

بقي ليسينغ في برلين حتى سنة ١٧٦٠ ، غير أنه أقام بلايبسيك من سنة ١٧٥٥ إلى سنة ١٧٥٨ . وقام برحلة سنة ١٧٥٦ زار فيها مدينة هامبورج والتقى هناك بالشاعر كلوبشتوك والممثل ايكهوف وهو نجم من نجوم المسرح الألماني ، وسافر إلى مدينة أمستردام ، وعقد نيته على زيارة انجلترا ، غير أن اشتعال الحرب البروسية النمساوية لم يمكنه من تحقيق رغبته واضطر إلى العودة ـ وانتقل من برلين إلى مدينة بريسلاو عاصمة سليسيا التي كانت حينئذ محافظة بروسية . واشتغل هناك سكرتيراً للجنرال فون تاونتسين متابعاً دراساته في أوقات فراغه ، وكان يشارك ضباط الجيش البروسي سهراتهم ولعبهم القمار . وأقبل على مشاهدة الروايات التمثيلية التي كانت تقدم على مسرح بريسلاو . ومكنته مراقبته للحياة العسكرية من تصويرها تصويراً دقيقاً يدعو إلى الإعجاب . فقد صور كل ما كان يراقبه عن كثب في بريسلاو ، في أجمل ملاهيه التي عنونها باسم بطلتها «مينا فون بارنهلم» وأصدرها سنة ١٧٦٧ ، أي بعد رجوعه إلى برلين بسنتين .

ولما كان ليسينغ كاتباً يصدر فيما يكتبه عن وعي تام هادف لم يكتف بإنتاجه الأدبي المسرحي فحسب بل كتب عدداً كبيراً من الرسائل والمقالات التي تعرض فيها بالنقد لمسرحيات مختلفة مبيناً محاسنها ومساوءها وكانت دراساته تحليلية متقصية لأسرار الفن المسرحي . وأهم تلك المقالات المجموعة التي نشرها سنة ١٧٦٩ وسماها «صناعة المسرحيات الهامبورجية» ، ويدل عنوان المجموعة على مشاركة ليسينغ الكاتب الناقد في إنشاء المسرح الوطني في مدينة

هامبورج من سنة ١٧٦٧ إلى سنة ١٧٧٠ .

وكان ليسينغ في أثناء سنواته التي عاشها بمدينة هامبورج يختلط بعائلتين عريقتين ، عائلة العالم المستشرق هيرمان صاموئيل رايمارس ، وعائلة التاجر انجلبرت كيونيغ . ولما توفي التاجر ، خطب ليسينغ أرملته حوّاء ، وكانت امرأة ذكية مثقفة وتزوج منها سنة ١٧٧٦ ، ثم انتقل من هامبورج إلى ولفنبيوتل المدينة الصغيرة القريبة من مدينة برونسويك . وقد ترك الشاعر هامبورج ، تلك المدينة الجمهورية الكبيرة ، تلبية لدعوة جاءته من أحد الأمراء الألمان ، ولي عهد الدوقية البرونسويكية ، وكان ذلك الأمير قد عرض على ليسينغ القيام بإدارة المكتبة الموجودة في ولفنبيوتل التابعة لدوقيته . ولا أشك في أن تلبية دعوة الأمير قد سببت الضيق لليسينغ ، إذ إنّ مكتبة الأمير كانت بعيدة عن مراكز الثقافة نائية عن مجالس العلم ، غير أن كنوز الكتب والمخطوطات المحفوظة في رفوف تلك المكتبة جعلته يلبي الدعوة مسروراً ويتوفر على القيام بإدارتها ثم إنه أراد الاستقرار بمدينة صغيرة هادئة بعد سنوات من التجول في المدن الكبيرة الصاخبة .

ومهما يكن من نشاط ليسينغ في إدارة المكتبة ، فإنه كان يختلف عن أمناء دور الكتب المعتادين . نتبين هذا مما دونه أحد موظفي القصر الدوقي في يومياته ، وهو المستشار القانوني فون ليبهابر ، فإننا ننقل عنه ما يلي : «أدركت أن ليسينغ ليس بعالم من الطراز العادي ، بل يمتاز بميزة غير عادية أصلاً ، فانه صلب العود لو ارتدى حلة عسكرية ، لكانت أليق به من بذلة أمين المكتبة[1] . » وان ما استشهدنا

به من قول المستشار الدوقي في شخصية ليسينغ ، لمن خير الكلام لأنه مما قل ودل .

تابع ليسينغ دراساته العلمية وعاد إلى نشاطه في تأليف الرسائل والمقالات ، وفضلاً عن ذلك أتم كتابة مأساة أسماها باسم بطلتها الإيطالية «اميليا غالوتي» ، صدرت سنة ١٧٧٢ ، وعرضت على المسرح البرونسويكي في تلك السنة بعينها . ومما يذكر أن الأمير البرونسويكي أذن للممثلين في عرض مسرحية ليسينغ المحزنة ، فالشاعر ، وإن كان قد جعل مشاهد مسرحيته في إيطاليا ، إلا أنه كان يندد بفضائح الحكم الاستبدادي عموماً ، معتمداً في فضحه لها على مبادئ أخلاقية أعلاها حرمة حق الشخصية الإنسانية الذي لا ينتهك . يدل على قصد الشاعر هذا القول الذي يختم به مسرحيته ، حيث يجعل أمير إيطالياً يقول : ربِّ ، لقد أشقى كثيراً من الناس أن أمراءهم ليسوا إلا بشراً أمثالهم . أليس في هذا الشقاء الكفاية ؟ لِمَ يضاعف الشياطين شقاءهم فيمثلون أدوار أصدقاء الأمراء[٢] ؟» إن صراحة هذا القول الموجز يغنينا عن أي شرح نلحقه به .

أما إيطاليا مشهد مسرحية «اميليا غالوتي» ، فلم يكن ليسينغ قد زارها حتى وقت قيامه بتأليف مأساته هذه وإنما أُتيحت له فرصة زيارتها سنة ١٧٧٥ عندما التقى بأمير من سلالة أمراء برونسويك ، أثناء إقامته «بفيينا» عاصمة النمسا . طلب الأمير من ليسينغ أن يرافقه في رحلة إلى إيطاليا ، فلبى ليسينغ طلب الأمير وسافرا معاً إلى الجنوب الذي كان ليسينغ قد اشتاق إلى رؤيته . إلا أن واجباته التي فرضتها مرافقته للأمير كانت تنغص عليه استمتاعه بما رآه

من آثار العصر الكلاسيكي وبما شاهده من روائع الفنون المحفوظة من عصر النهضة الأوروبية .

رجع ليسينغ إلى مكتبته الألمانية الشمالية في ربيع سنة ١٧٧٦ ، حيث تربصت له هموم وغموم ، منها نكبة عائلية ، إذ توفيت زوجته حواء ، التي كان قد تزوج منها سنة ١٧٧٦ ، في أوائل سنة ١٧٧٨ ، حينما كانت تضع مولوداً لم يعش إلا يوماً واحداً وصارت روح الشاعر بعد تلك المصيبة التي ألمت به تتأرجح بين حالات الخضوع لليأس والكآبة السوداء وبين حالات الغرق في أعمال علمية وأدبية . ولكنه ما لبث أن انصرف عن يأسه واسترد ميله إلى النقاش والجدل عندما اشتبك في مناقشة بعض اللاهوتيين ، وسوف أذكر مدار تلك المناقشة فيما بعد . والمهم أن جدال اللاهوتيين دفع ليسينغ إلى تأليف آخر مسرحياته ، وهي أكملها صيغةً وأعمقها مغزى ، أعني مسرحيته سالفة الذكر « ناتان الحكيم » التي صدرت سنة ١٧٧٩ . وكأن كتابة تلك المسرحية المحزنة المضحكة ضمنت لمؤلفها عودته إلى طمأنينة نفسه على الرغم من أن العودة إليها كانت متعذرة للغاية فإن فقدان زوجته وابنه كان يثقل كاهله آخذاً عليه طريقه إلى تفاؤله الفطري الذي كان يعادل ما كان فيه من مزاج سوداوي خاص بأصحاب الآداب والفنون . ومن ينصت إلى الموسيقى الخفية في أبيات مسرحيته الأخيرة ، يشعر أنها مع سرعة حركاتها ومفاجأة تنوعات ألحانها موسيقى تستعطف خواطر المستمعين إليها لما فيها من رنين نواح الشاعر المبتلي المصاب بفقد زوجته وطفله الوحيد . وسوف أستشهد بأبيات نسمع فيها صدى نبضات قلب الشاعر القلق

المفتقد لما يطمئنه إلى أسباب تفاؤله ، المتعرض لحملات صروف الدهر عليه .

أما «مسرحيته الشعرية» ـ هكذا حدد ليسينغ نوع تأليفه المسرحي الأخير ـ فلم تعرض على أي مسرح طوال حياة الشاعر الذي لم يكن يتوقع عرضها على المسرح ، إذ كتب في مسودة مقدمته لمسرحيته «أما الآن ، فلست أدري أية مدينة ألمانية يليق مَسْرَحها بعرض هذه المسرحية ، غير أني أقدم خالص التهاني إلى المدينة التي سوف ترى أول عرض لمسرحيتي هذه»[٣] . كانت تلك المدينة هي عاصمة بروسيا «برلين» ، حيث عرضت المسرحية لأول مرة سنة ١٧٨٣ أي بعد مضيّ سنتين على وفاة ليسينغ الذي توفي سنة ١٧٨١ في مدينة برونسويك مركز القصر الدوقي الذي كان ليسينغ من الموظفين التابعين له . وإن لم يكن تابعاً لأي رآسة سوى رآسة ضميره ، إذ إن ضميره هو الذي كان يهديه فيمتثل لأوامره في السراء والضراء .

قلنا إن ليسينغ كان من أصحاب «حركة التنوير» ، وذكرنا بعض خصائص تلك الحركة الفكرية ، وألمحنا إلى بعض الأهداف التي تطلع إليها ممثلو التنوير في البلدان الأوروبية ، لكننا لم نحدد معنى التنوير من حيث هو ظاهرة فكرية ولم نعرّف أهداف ممثلي التنوير تعريفاً يرضى من يبحث عنها ، ولا بدّ لنا من تعريف التنوير ، فهو أشبه بمفتاح يفتح لنا أبواب عالم ليسينغ الفكري الفلسفي . ويلزمنا استكشاف ذلك العالم ، إذا أردنا أن نتفهم البيئة الفكرية التي صبغت صورة الشرق العربي الذي وضع ليسينغ فيه بطله «ناتان الحكيم» . ولماذا أحاول هنا تحديد معنى التنوير الفلسفي ، وقد

كتب الفيلسوف كانط الذي كان معاصراً لليسينغ مقالة حدد فيها معنى التنوير ، وهو السؤال الذي يعنينا هنا ، ولنكتف للإجابة عنه بالاستشهاد بما قاله كانط :

«ليس معنى التنوير إلا انتقال الإنسان من حالة قصوره العقلي إلى حالة رشده التي لا يمنعه عن الانتقال إليها إلاّ أسباب راجعة إلى نفسه . وأعني بالقصور العقلي عجز الإنسان عن استخدام قوى عقله ما لم يراع إرشادات مرشد يهديه . وترجع الأسباب في ذلك القصور إلى الإنسان القاصر نفسه ، ما لم يكن عجزه ناتجاً عن ضعف عقله ، (وقد يكون السبب في ذلك العجز ضعف عزم الإنسان وعدم إقدامه على استخدام قوى عقله ما لم يراع إرشادات مرشد يهديه ....) لماذا نرى كثيراً من الناس يقتنعون بالبقاء على حالة القصور مدى حياتهم ، مع أن الطبيعة قد خلصتهم من بقائهم تحت يد المرشد ؟ ولماذا نرى غيرهم من الناس يتيسّر لهم الظفر بالوصاية عليهم ؟ ليس السبب في ذلك إلا كسل القوم وتهيبهم . ما أحلى حالة القصور عندهم ! ... فلا يقتضي هذا النوع من التنوير الذي حددناه إلا الحرية ، تلك الحرية البريئة من كل عنصر مؤذ ، أعني حرية اللجوء إلى عقلنا في جميع أعمالنا ، وذلك على ملأ من العالم . »(٤)

صدرت مقالة كانط التي استشهدنا بمقتطفات منها في المجلة الشهرية البرلينية في عدد كانون الأول من سنة ١٧٨٤ ، أي ثلاث سنوات بعد وفاة ليسينغ . ولو كان الشاعر حياً آنذاك لوافق فيما أتصور الفيلسوف في تحديده لمعنى التنوير ، خاصة وأن « كانط »

كان يرى أن صاحب التنوير أقرب إلى العمل لصالح المجتمع منه إلى اعتزال المجتمع ليخلو إلى تأملاته النظرية المجردة .

وقد سبق « كانط » إلى الإجابة عن هذا السؤال في برلين مفكر يهودي أقام في برلين وهو «موسى مندلسون» الذي كتب مقالة عن معنى التنوير ، صدرت في عدد أيلول من المجلة البرلينية المذكورة في سنة ١٧٨٤ . وكان « موسى مندلسون » فيلسوفاً وصفه « كانط » بأنه جذوة فكر ثاقب لن تتضاءل فضيلته(٥) . نذكر بين قوسين أن موسى « مندلسون » المفكر هو جد « فيلكس مندلسون برتولدي» المؤلف الموسيقي . ويهمنا هنا أن نشير إلى أن ليسينغ تعرّف على موسى مندلسون في سنة ١٧٥٤ ، وسرعان ما أصبح موسى صديقه ، ثم صفيه . لعبا سوياً الشطرنج وتناقشا في مسائل فلسفية وتجادلا فيها وتبادلا آراءهما فيها وتأثر بعضهما ببعض ، وإن كان موسى مندلسون يعترف بأنه هو الذي أخذ عن صديقه ليسينغ . وقد أعجب الشاعر المسيحي بحكمة صديقه اليهودي وصدقه وأثابه ثواباً فريدا ، فخلد شخصية موسى مندلسون وأشاد بأخلاقه النبيلة في شخصية ناتان اليهودي الحكيم بطل مسرحيته الأخيرة .

وقد ذكرنا أن مشهد تلك المسرحية المضحكة المبكية هو المشرق بصفة عامة ، ونضيف أنه القدس بصفة خاصة ، والأحداث الممثلة في تلك المسرحية تقع في عصر الحروب الصليبية ، أو بعبارة أدق في أيام سلطنة صلاح الدين الأيوبي .

اختار ليسينغ قبل هذه المسرحية المشرق مشهداً لمسرحيتين شرع في تأليفهما في سنتي ١٧٤٨ و١٧٥٩ ، لكنه لم يترك لنا إلا

شذرات منهما . وسمى إحداهما «جهانكير أو العرش المرفوض .» وتخير فكرتها المسرحية من تاريخ السلطان العثماني «سليمان القانوني» . وسمى المسرحية الثانية «فاطمة» ولم يكن يعني بذلك فاطمة الزهراء بنت النبي . ومن الواضح أن ليسينغ جعل الشرق مشهد ثلاث من مسرحياته وإن لم يكمل إلا إحداها .

ولا نستدل على اهتمامه بالشرق من إنتاجه المسرحي فحسب بل إننا نعرف حق المعرفة أنه درس تاريخ البلدان العربية معتمداً على كتب المستشرقين وغيرهم أمثال «المكتبة الشرقية» لبارتيليمي دربلو ، وكتاب «المبهجات والمعجبات الشرقية» لاولفرت دابر ، و«سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي» للعالم الفرنسي فرنسوا لوي كلود مارين ثم راجع تحقيق المستشرق الهولندي آلبرت شولتنس لكتاب «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد . زد على ذلك أن ليسينغ اشترك في ترجمة مقالة فولتير في «تاريخ الحروب الصليبية» ، وأنه ترجم كتاب الأب الفرنسي مارينيي في تاريخ الأمة العربية في العصرين الأموي والعباسي . ونرى في المقدمة التي افتتح بها ليسينغ ترجمته لذلك الكتاب التاريخي ، أنه عرف أسماء بعض المؤرخين العرب أمثال الواقدي والمكين وأبي الفرج صاحب «تاريخ مختصر الدول» وأكثر من ذلك بيّن ليسينغ في مقدمته تلك تقديره لتاريخ الشرق العربي كمادة لدراستنا ـ نحن الغربيين ـ التاريخية فقال : «إن الأسباب التي دفعت الأب مارينيي إلى تأليف كتابه في تاريخ العرب ، هي بعينها التي دفعتني إلى ترجمة كتابه . ولم يجد الأب الفرنسي في الكتب الفرنسية إلا أخباراً قليلة نادرة

تخص العرب . أما أنا ، فأكاد ألا أجد أي أخبار عنهم في الكتب الألمانية . وإن كانت مآثر العرب لو اطلعنا عليها لا تقل جدارة عن مآثر اليونان والروم . »[٦] وأكد ليسينغ رأيه هذا في مقالة أخرى تحدث فيها عن نشر كتاب مارينيي فقال : «إن الأمم قسمان : منها التي يثني المؤرخون على فضائلها ، ومنها التي يجد ربهم أن يثنوا عليها ، مثل الأمة العربية .» ثم ذكر ليسينغ شجاعة العرب التي دفعتهم إلى فتح بلدان كثيرة في فجر الإسلام واستطرد قائلاً : «ومن ظن بالمسلمين العرب ظنوناً واتهمهم بأنهم لم يكونوا إلا أجلافاً غلاظاً شجعاناً ، فقد ضل عن الحقيقة . فكثيراً ما كانوا يفوقون النصارى برًّا .»[٧] وتقدير ليسينغ للفوائد المستخلصة من دراستنا لتاريخ البلدان العربية يقترب من تقدير صديقه المستعرب يوحنا يعقوب رايسكه لتلك الدراسات .

على أن ليسينغ لم يكتف بالاطلاع على تاريخ الشرق السياسي والاجتماعي فحسب بل إنه كان يهتم بالأدب العربي أيضاً ، فقد جمع معلومات عن الشعر العربي يدل على ذلك ما نجده في كشكول له دوّن فيه من المعلومات ما أراد استعماله في المناقشات والمجادلات الأدبية . وذكر هناك من أخبار أبي العلاء المعري ما نصه : «هو شاعر عربي مشهور سكن بمعرة (النعمان) في سورية . عاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر (الميلادي) وكان قد كُفّ بصره وهو في الثالثة من عمره ، وذلك بعد إصابته بالجدري . وقال «المعري» إنه لم يذكر من كل ما رآه قبل عماه إلا اللون الأحمر . وقيل إنه مع ذلك جاء في أشعاره من وصف للمرئيات

بما يلائم الموصوف به ويثير مخيلة المستمع إلى شعره . »[٨] ولا أشك في أن صورة المعري الشاعر العربي المكفوف البصر ذكرت ليسينغ بصورة الشاعر اليوناني الكفيف أعني صورة هوميروس جد الشعر الأوروبي الأول . وكان ليسينغ هو الذي نبه مواطنيه إلى ما للمحمتي هوميروس من القيم الفنية الخالدة ، وأشار إلى ما في شعر هوميروس من محاسن الوصف للمرثيات ، وذلك في كتاب عنوانه مأخوذ من اسم تمثال يوناني وهو « لاؤكوون ، في تحديد فني الرسم والشعر » .

ومع أن ليسينغ كان متحمساً للأدب اليوناني ، إلا أنه لم يغض بصره عن الأدب العربي . فقد حاول كإبن من أبناء عصر التنوير الحصول على معارف شاملة موسوعية ومن ثَـمّ لم يغفل الاطلاع على مميزات الحضارة الشرقية . غير أنه كان يعني بتاريخ الحضارة الشرقية من حيث إنَّ الشرق هو منشأ الديانات الكبرى الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام . فاشتغال ليسينغ بتاريخ الشرق إنما يرجع أولاً لاهتمامه بتاريخ تلك الديانات الثلاث . والاهتمام بتاريخ تلك الديانات قد يدفع الباحث إلى المقارنة بين كل واحدة منها والديانتين الأخريين . وقد أقدم على تلك المقارنة بعض العلماء والأدباء الأوروبيين قبل إقدام ليسينغ عليها . ولما كان واسع الاطلاع على الآداب الأوروبية الغربية ، فقد عثر على كتاب « دقائق الأمور » للمفكر الإيطالي جيرولامو كاردانو الذي كان رئيساً من الرؤساء الرياضيين في القرن السادس عشر . فوجد ليسينغ في الباب الحادي عشر من كتاب كاردانو المذكور أن المفكر الإيطالي جعل وثنياً ويهودياً ومسيحياً ومسلماً يدافع كل واحد منهم عن معتقداته الدينية

مخاصماً أحد أتباع الديانات الأخرى ، فيجادل الوثنيّ اليهودي ، واليهودي يناقش المسيحي ، والمسيحي ينازع المسلم ، أما المسلم فيردّ على أقوال المسيحي رداً لا يخلو من حجج مقنعة وأدلة قاطعة ، مما دفع عدداً من المسيحيين إلى رمْي مؤلف الكتاب بالكفر . ولما كانوا قد اتهموا كاردانو بالكفر ، استلزم ليسينغ النظر في كتاب كاردانو الذي وجد أنه من الكتب التي كرهها من لم يقرأها ، ثم عكف المفكر الألماني على تأليف رسالة دافع فيها عن المفكر الإيطالي مجادلاً المدعين على كاردانو بالطعن في الدين . وبين أن كاردانو لم يقصد من كتابه إلا الدفاع عن أسباب الدين المسيحي ، فجعل المسيحي يوطد أساس دينه بسرد جميع الحجج التي يجيء المسيحيون بها معززين مبادئ عقيدتهم متسائلاً هل نرجو من كاردانو معالجة أفضل من معالجته هذه لهذا الموضوع ؟

وإذا كانت معالجته للموضوع سليمة لا تستحق أن نلومه عليها ، فهل نلومه على أنه عالج الموضوع أصلاً ؟ ثم طرح ليسينغ موضوعاً جديداً على بساط البحث يمكن أن نلخصه فيما يلي : «هل نحرّم نحن المسيحيون المقارنة بين ديننا وبين الأديان الأخرى ؟ وهل ننهي علماءنا ومفكرينا عن القيام بالدراسات الدينية المقارنة ؟» وأجاب ليسينغ عن السؤال الذي طرحه على قراء مقالته قائلاً : « لا يزعمن أحد أن إثبات الأدلة الإلهية المتجلية في دينه يغنيه عن البحث عن وجود تلك الأدلة وتجليها في أديان أخرى غير دينه ، ولا يلجأن أحد إلى الاستشهاد بالمثل القائل : من وجد الرشد ، فليغفل عن الضلالات . فهل ندرك ما هي الضلالات بإدراكنا ماهية الرشد ؟ كلا . بل إننا

نفهم الرشد إذا فهمنا الضلالات . »[٩]

أظن أنه ليس من باب الصدفة أن ليسينغ نشر رده على الذين انتقدوا كاردانو في سنة ١٧٥٤ ، وهي السنة التي فيها عرف موسى مندلسون . ويجدر بالذكر أن اهتمام ليسينغ بالدراسات الدينية المقارنة يرجع إلى ذلك العهد ، فقد اهتم بهذا النوع من الدراسات قبل تأليفه مسرحية «ناتان الحكيم» بربع قرن ، وإذا تأملنا تلك المسرحية وجدنا أنها تدور حول مقالة ليسينغ التي رد فيها على منتقدي كاردانو في مقارنات الأديان بعضها ببعض ومعالجة ليسينغ لذلك الموضوع في رده على منتقدي كاردانو تختلف عن معالجته له في آخر مسرحياته . ويتمثل هذا الاختلاف في أمرين : أولهما الأداء الفني . فالفن المسرحي يقتضي مراعاة قواعد فنية قد يغفل عن مراعاتها كاتب المقالات والدراسات . والأمر الثاني هو الجانب المعنوي . وسوف يتضح من إشارتي إلى حبكة مسرحية «ناتان الحكيم» ومن انطباعي عن تصوره لبعض أبطالها ، إذ تبين لي أن ليسينغ الرجل الكهل كان في كهولته ينظر إلى الديانات الثلاث الشرقية من زاوية تغاير الزاوية التي كان ينظر بها إلى هذه الديانات أيام شبابه .

ولا أريد بسط الكلام في حبكة مسرحية «ناتان الحكيم» وإنما أوجز فأقول إنها حبكة يقصد المؤلف منها إظهار أفكاره عن إمكانية تقارب اتباع الملل الثلاث بعضهم من بعض ، وذلك عن طريق العمل المشترك في سبيل تحقيق وصايا ربهم الذي يؤمنون به جميعاً . وقد رأى ليسينغ أن تفاهمهم فيما بينهم لا ينتج عن المناقشات والمجادلات فيما يعتقد كل منهم بل يرجع إلى الاشتراك في الأعمال

الصالحة التي أمر الله أتباع الديانات الثلاث بالقيام بها طبقاً لما نص عليه في التوراة والإنجيل والقرآن .

وقراءات ليسينغ المتكررة لكتب التاريخ جعلته يدرك أن التفاهم المطلوب لم يتحقق منذ أن عرف التاريخ هذه الأديان إلا نادراً ، بل لقد تبين أن تعصب أهل كل ملة لدينهم كان يحرضهم على ارتكاب الجرائم التي تغص برواياتها مصنفات المؤرخين ، غربيين كانوا أو شرقيين . وكان ليسينغ على يقين من أن السبب في ذلك التعصب ليس إلا الانصراف عن استخدام قوى العقل التي منحها الله إيانا لنستخدمها قدر استطاعتنا خدمة لصالحنا مع مراعاة صالح غيرنا من البشر . وهذا النوع من استخدام القوى العقلية هو بالذات ما يقال عنه «تنوير العقول» كما حدده «عمانوئيل كانط» أما «تعتيم العقول» ـ وهو ظاهرة متوافرة الوجود ـ فيكشف عن ضيق أفق من ابتلى به ، «إذ يتعطش ذلك الإنسان المبتلي إلى سفك دماء الذين يتجاوز بعد نظرهم حدود مجال نظره القصير . وقد أصر ليسينغ على تفاؤله بالرغم مما يروى في كتب التاريخ من الجرائم والجنايات ، ذلك التفاؤل الذي يوصف به ممثل حركة التنوير ، وإنما نبع تفاؤله من اعتقاده بصلاحية العالم للتطور إلى الأفضل والأحسن وذلك بتنمية القدرات العقلية عند الناس أجمعين وتخليصهم من قيود التقليد الأعمى ، وإن كان على يقين أن تطور الجنس البشري ووصوله إلى مرتبة الكمال لا يمكن أن يتم إلا خطوة خطوة بمساعدة الإجراءات التربوية العقلية المناسبة لما قَدّر الله على خلقه . وقد ذكر ليسينغ هذا في مقالة نشرت في برلين سنة ١٧٨٠ بعنوان (تربية الجنس البشري) .

ولم يغفل ليسينغ عن وعورة الطريق الذي يجب على الناس اجتيازه حتى يتمكنوا من تحرير أنفسهم من كل ما يصرف عقولهم عن إدراك الهدف المقصود ، أي الوصول إلى مرتبة الكمال في عمل الصالحات من حيث هي أعمال صالحة دون أي اعتبار لعواقب العمل على هذا المبدأ ، ولا سيما دون الطمع في الأجر الموعود .

ومن المفهوم أن جميع أبطال مسرحية ليسينغ الأخيرة لم يصلوا إلى مرتبة الكمال هذه إذ إنّ ليسينغ الذي ألف من قبل مسرحيات ناجحة عديدة كان يدرك أن الإنسان المثالي الكامل لا يصلح للعرض على المسرح ، لأن المشاهدين يحتاجون إلى عرض أبطال نابضين بالحياة يجعلون المستمعين يَنْصَرفون إليهم بعواطفهم ويشغلون قلوبهم وعقولهم عما يحدث خارج المسرح . نعم ، ميّز ليسينغ بطل مسرحيته الأول التاجر اليهودي ناتان عن سائر أبطالها فجعله حكيماً ـ وجدير بالذكر أن موسى مندلسون الذي صوره ليسينغ في شخصية ناتان كان أيضاً تاجراً وحكيماً . لكن حكمة ناتان ليست بالحكمة يمكن أن نستخرجها من كتب الأدب والعلم ، بل هي مستخلصة من صبره على صروف الدهر التي ابتلاه بها ربه القدير العليم . ووصف ليسينغ السلطان صلاح الدين الأيوبي بصفات الأمير المسلم النموذجي ، فهو في مسرحيته بطل شجاع ، عالي الهمة تقي آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر ، ثم أضاف الشاعر إلى تلك الصفات الفاضلة رحابة الصدر والتسامح ، فجعل السلطان خليقاً بأن يصبح صديق الحكيم ناتان ونظيره من بين ممثلي الإسلام في تلك المسرحية .

لو سألني سائل : «وما رأيك في المسيحيين الذين أدخلهم الشاعر

على المسرح ، ومن منهم أقرب إلى ناتان صدقاً وبراً وإقبالاً على عمل الخير ؟ ـ لأجبت بأن البطريرك لم يكن منهم على التحقيق ، فقد دمغه ليسينغ بالتعصب الديني ، وهو أمر يبعده عن ناتان المتسامح .
أما الفارس الصليبي الشاب الذي أسره صلاح الدين ثم عفا عنه لأنه يشبه أخاه ـ ويكتشف ناتان أنه يمتّ حقاً إلى السلطان المسلم بصلة قرابة ـ ذلك الفارس الصليبي الذي وصفه ليسينغ بصفات حسنة محمودة ، منها الشجاعة والكرامة . كما وصفه أيضاً بصفات قبيحة تستحق اللوم ، منها التكبر وضيق الأفق ، فإننا نفهم من التناقض الذي يبدو في طباع الفارس الشاب أن ذلك الفارس النبيل الأصل سيصل إلى درجة عليا في امتثاله لوصايا ربه الأعلى . أما الراهب المتواضع المتسامح الذي سلم إلى ناتان طفلة مسيحية يتيمة ليحفظها أثناء الحروب الصليبية ويربيها في داره ، وإن كانت دار يهودي ـ وأظن أن ذلك الراهب أقرب المسيحيين في تلك المسرحية إلى ناتان الحكيم اليهودي ـ فيتقرب إليه صدقاً وبراً وقياماً بأعمال الخير . غير أن السذاجة تقوم عنده مقام الحكمة التي يمتاز بها ناتان ، وسذاجة الراهب هي التي تدفع بناتان إلى شرح الحال التي كان عليها عندما سلمه الراهب الطفلة اليتيمة ، فيقول ناتان في ذلك الصدد لصديقه الراهب : «لقد لقيتني في مدينة الداروم ، وكانت الصبية معك . ولعلك لا تعرف أن النصارى كانوا قبل لقائنا بأيام قليلة قد قتلوا جميع اليهود المقيمين بمدينة بيت جبرين(*) ، رجالهم

* في الأصل : مدينة غات ، ولعل المعنى بها بيت جبرين .

ونساءهم وأطفالهم . ولعلك لا تعرف أن بين ضحايا تلك المذبحة زوجتي وأبنائي السبعة الذين كانوا معقد آمالي . أرسلتهم ليلجأوا إلى أخي ، وعندما أحرقت داره احترقوا فيها جميعاً . ثم جئتني أنت . بعد أن ظللت أتمرغ في التراب والرماد ، ساجداً لله ، منتحباً طيلة ثلاث ليال ، ولم أكن أكتفي بالبكاء بل كنت أحاسب الله غاضباً ثائراً ، أدعو على نفسي وعلى الناس كافة ، معاهداً نفسي على بغض النصارى ما حييت .... ثم ما لبثت أن ثُبت إلى التعقل خطوة فخطوة ، منصتاً إلى صوت العقل الرزين القائل : «مهما يكن من أمرك فلا تنس أن الله هو الحيّ القيوم . فإن محنتك هذه كانت أيضاً مما قدره الله . هلم قم لتؤدي ما أدركت أن أداءه واجب . وكن على يقين من أن هذا ليس أصعب من إدراك وجوب أداء العمل عليك وليس المطلوب منك إلا أن تريد القيام به . انهض .» ـ فنهضت عن الأرض داعياً الله : «يا ربي ، لبيك فقد أعنتني على تلبية أمرك . ثم نظرت أمامي فإذا بك تترجل عن فرسك . وتسلم إليّ الصبية التي كانت ملفوفة في معطفك . لقد نسيت الآن ما قلته لي حينذاك ، كما نسيت ما قلته لك وغاية ما أعرفه ، أني قبّلت الصبية ووضعتها في مخدعي وقبّلتها . ثم سجدت لله مغرقاً في البكاء قائلاً : يا ربي ، لقد رزقتني طفلة واحدة ، بعد أن فجعتني في أطفال سبعة . » ـ يقول الراهب : «يا ناتان ، إنك مسيحي والله ، إنك مسيحي ، لا أرى أي أحدٍ من المسيحيين أجدر منك بهذه الصفة .» ويرد ناتان عليه قائلاً : «يا لها من مطابقة سعيدة . فإن ما يجعلك تراني مسيحياً ، هو بعينه ما يجعلني أراك يهودياً .» (١٠)

إن تفاهم المسيحي مع اليهودي بسبب قيام ديانتيهما على أساس مشترك واحد ، لأمر نادر في التاريخ . وقد بيّن ليسينغ أن ذلك التفاهم ــ وإن كان نادر الوجود ــ ليس بمستحيل . لأن له أسباباً يدركها ذو الصدر الرحب صاحب العقل المستنير ، وهي أسباب بسيطة ، أهمها أن يعترف كل واحد من أهل الملتين بحق أخيه تابع الملة الأخرى من حيث هو إنسان مثله ويعامله معاملة من هو على ملته ويشاطره فرحه وحزنه ، لأنه يرى مثله أن النكبات والمصيبات ليست إلا محناً يمتحن بها الله عباده .

أما أبناء الشرق من أتباع الديانات الشرقية الثلاث ، فمنهم من نوّرت عقولهم حتى ليرى كل واحد من أولئك المنوَّرين أن موقف اتباع الديانتين الأخريين البررة الأتقياء ، يكاد يكون موقفه هو ، وهذا ما هو ظاهر من قيامهم بأعمال صالحة ومن تحملهم للبلايا العامة والخاصة ، فيعتبرونها مثل ما يعتبرها ، أي مِحنا قدّرها ربهم عليهم . ومن ذلك يدرك المؤمن المنوّر أن تقارب مواقف أتباع الديانات الثلاث الذي يظهر أعمالهم الدنيوية يدل على اشتراكهم جميعاً في مبادئ دينية مشتركة مهما تباعدت عقائدهم ومذاهبهم عن هذا الأصل المشترك في مجرى التاريخ . ومن ثَمَّ فلا بد للمؤمن من أن يفهم أن في الديانات الثلاث ما هو عابر تاريخي وما هو خالد إلهي . وأن العناصر التاريخية قد توجد في التفرعات الاعتقادية ، بينما يوجد الجوهر الخالد الإلهي في أصول الديانات المشتركة . ومن تفهم ذلك ، تجنب التعمق في المجادلات اللاهوتية التي يقومون بها للدفاع عن دقائق التفرعات الاعتقادية لا لإظهار الأصل الإلهي الواحد ، وبدلاً من

ذلك يوقف الرجل المنوّر جهوده على السعي لإظهار جوهر دينه الأصيل ، فيقوم بالأعمال الصالحة وفقاً لما أوصاه الله به .

فإذا تحتّم أن يتنافس اتباع الديانات الثلاث ، وجب أن يكون أهم شروط تنافسهم التسابق على القيام بالصالحات ، لا على التمادي في إطالة المناقشات والمجادلات .

هذا هو ـ على التحقيق ـ مغزى مسرحية ليسينغ الأخيرة ، ويتضح ذلك من أهم مشاهدها ، وهو المشهد الرئيسي الذي جعل الشاعر فيه ناتان التاجر الحكيم يتحدث إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي عن الديانات الثلاث الدين اليهودي والدين المسيحي ودين الإسلام . ولو تساءلنا : في أي كتاب من كتب التاريخ وجد ليسينغ ذكر التقاء التاجر اليهودي بالسلطان المسلم ، وأين وجد رواية ما جرى بينهما من حديث يدور حول مسائل دينية خطيرة الشأن ؟ لكان الجواب : لم يجد ليسينغ ذكر ذلك الالتقاء ورواية ذلك الحديث في أي كتاب من كتب التاريخ الشرقية والغربية . بل وجد روايته في كتاب إيطالي يعدُّ مِنْ أجمل كتب الأدب الأوروبية ومن أكملها ، وهو كتاب «الديكاميرون» لجيوفاني بوكاشيو القصاص الكبير الذي عاش من سنة ١٣١٣ حتى سنة ١٣٧٥ م . أما كتابه الديكاميرون فهو مجموعة قصص قصيرة أصبحت لحيوية أسلوبها وتنوع محتوياتها نماذج الفن القصصي الأوروبي الناشئ في أوائل عصر النهضة الإيطالية .

ومن المعروف أن ليسينغ كان ملماً بكثير من روائع الأدب الإيطالي ، وأخبرنا هو نفسه بأنه أخذ مادة مسرحيته من كتاب

الديكاميرون فكتب في مسودته مقدمة لمسرحيته جاء فيها : «وبالفعل يصح القول أني أخذت الفكرة الأولى لمسرحيتي المسماة بـ «ناتان الحكيم» من كتاب الديكاميرون لبوكاشيو ، ولم أكن أخفي ذلك على أي واحد من أصدقائي . أما القصة الثالثة من الكتاب الأول من كتب الديكاميرون فهي الخلية التي منها نبتت في خاطري مسرحيتي «ناتان الحكيم» وكتاب الديكاميرون الأول بمثابة ذخيرة نستطيع أن نستخرج منها مواد كثيرة ننسج منها مسرحياتنا . »[11]

ولما كانت قصة بوكاشيو هذه هي النواة التي نشأت عنها مسرحية ليسينغ كان لا بد لي من إيراد ترجمة لها في هذا المقام . ومما يذكر أن اسم التاجر اليهودي كما ورد في قصة بوكاشيو هو «مَلْكي صادق» وعوض ليسينغ ذلك الاسم باسم يهودي آخر ، أي : ناتان ، آخذاً هذا الاسم من بطل قصة أخرى من القصص المجموعة في الديكاميرون. أما أنا فقد نقلت قصة بوكاشيو إلى العربية معتمداً على ترجمة ألمانية أخرى لها قام بها كارل ويته ، واستندت إلى طبعة تلك الترجمة الثالثة التي صدرت في لايبسيك سنة ١٨٥٩ . وإليكم «قصة ملكي صادق اليهودي الذي أوقعه السلطان صلاح الدين في مأزق حرج تخلص منه بروايته لحكاية الخواتم الثلاثة» :

«بلغ السلطان صلاح الدين الأيوبي من الشجاعة والجسارة مبلغاً جعله يبرز من بين صفوف العوام ويعتلي عرش سلطنة بابل . وكان بفضل جرأته يظفر على كثير من أمراء المسلمين والنصارى ، لكن كثرة غزواته ورفاهة عيشه استنفذت كل ما كان يدخره في بيت ماله . ولما احتاج فجأة إلى مبلغ ضخم من المال لم يدر من أين يحصل

عليه بسرعة تسعفه في قضاء حاجته . ثم خطر ببالـه أن يهوديـاً غنياً يدعى «ملكي صادق» يعيش في الاسكندرية ، وأن ذلك اليهودي كان يقرض الناس من أمواله بالربا . ورأى السلطان أنه يمكن أن يهب لمساعدته ، لكنه وإن كان متأكداً أن بخل اليهودي يمنعه من التطوع بمساعدته إلا أنه لم يرض أن يلجأ إلى العنف . ولما اشتدت أزمته المالية بدا له أنه لا بد أن يدفع اليهودي إلى معاونته مهما كلفه الأمر من مجاملة أو مخاشنة . فأخذ يعمل فكره للبحث عن ذريعة تسوغ له إرغام اليهودي على إقراضه المبلغ المطلوب ، مع المحافظة على ظاهر الحق في الوقت نفسه . وأخيراً استدعاه السلطان وأكرمه غاية الإكرام وأجلسه إلى جانبه ثم قال : «يا صديقي العزيز ، لقد أكد لي كثير من معارفي أنك حكيم متخصص في علم الإلهيات . ولذلك أود أن تبين لي أي دين من الأديان الثلاثة هو دين الحق ، أهو دين اليهود أو دين الإسلام أو دين النصارى ؟» وكان اليهودي حكيماً حقاً ، فأدرك تماماً أن السلطان لم يطرح عليه سؤالاً من هذا النوع إلا رغبة في إذلاله مهما كانت إجابته . وعرف كذلك أنه أياً كان الدين الذي يفضله من الديانات الثلاث على الآخرين ، فإنه بتفضيله له إنما يعاون السلطان على نيل مأربه . فبادر إلى حشد قوى عقله كلها للوصول إلى جواب فيه من البراعة ما يفتقر إليه . فلما توصل إلى كيفية الإجابة عن سؤال السلطان قال : «يا مولاي . إن السؤال الذي طرحته عليّ سؤال جيد يدفع بي إلى التعمق في التفكير ، وما دمت قد طلبت مني الإجابة عنه فانني أرجو أن تسمح لي برواية هذه القصة القصيرة :

«لا أزال أتذكر الروايات المتكررة التي تروى عن رجل غني نبيل ، عاش في قديم الزمان وسالف العصر والأوان وكان قد ادخر في بيت ماله جواهر كثيرة وأحجاراً كريمة نادرة . وكان له خاتم عجيب نفيس كان يفضله على سائر كنوزه فأراد أن ينال ذلك الخاتم التقدير اللائق بقيمته ، وأن يبقى إلى الأبد ملك سلالته . وأوصى أن وارثه الوحيد هو من يستطيع من أبنائه أن يقدم الخاتم لإخوته مثبتاً أنه ناله من والده ، فيشرفونه تشريف المفضَّل عليهم ويتركون له الميراث كله . وأوصى وارث الخاتم الأول أبناءه بمثل ما أوصى به أبوه . وبالإيجاز كان الخاتم ينتقل مورَّثاً من يد إلى يد ، فناله كثير من خلف الجد الأعلى ، حتى انتهى إلى رجل كان له أبناء ثلاثة كلهم أقوياء الجسم محمودو السيرة ، يطيعون والدهم دون أي معارضة . ولهذا كان يحب كلاً منهم حبه للآخر ، وعرف الشبان الوصية الخاصة بالخاتم ، وطمع كل منهم في أن يفضل على أهل بيته ، وكلما خلا أحدهم بأبيه الطاعن في السن توسل إليه طالباً منه أن يعطيه الخاتم . ولما كان الرجل الطيب يحب كل واحد من أولاده حبه للآخر ، لم يعرف من يختار منهم فيجعله وارث الخاتم . فوعد كل واحد منهم بأن يعطيه الخاتم ، وبحث عن وسيلة تمكنه من إرضائهم أجمعين . وكي يتوصل إلى هدفه أخذ في تحقيق الخطة التالية في سرية تامة ؛ أمر صائغاً حاذقاً بصنع خاتمين يشبهان الخاتم الأصلي فنجح الصائغ في أن يصنع الخاتمين الجديدين بحيث يشبهان الخاتم الأصلي تمام الشبه ، حتى أن الأب نفسه الذي كان قد أمر الصائغ بصنعهما كاد ييأس من تمييز الخاتم الأصلي عن

الآخرين . وعندما أشرف على الموت ، أعطى كل واحد من بنيه أحد الخواتم خفية عن أخويه في كل مرة . أما بعد وفاة والدهم فكان كل واحد من البنين يدعي أنه هو وارث الخاتم ومن ثمَّ فهو المفضل على أهل البيت ، ونازع كل واحد منهم أخويه حق الأفضلية معللاً ادعاءه للميراث بتقديم الخاتم الذي أعطاه إياه والده . فأيقنوا أن تشابه الخواتم يمنعهم من تمييز الخاتم الأصلي عن الخاتمين الآخرين ، فأصبح تعيين الوارث الحقيقي مسألة معلقة ، وظلت تلك المسألة معلقة لا يمكن البت فيها حتى يومنا هذا .

يا مولاي ، هذا بعينه هو رأيي في الأديان الثلاثة التي أنعم الله بها على أهل الملل الثلاث ، وتلك الأديان الثلاثة هي التي سألتني عنها . فيعتقد أهل كل ملة من الملل الثلاث بأن الأب خولهم امتلاك ميراث وأنه أنعم عليهم بدين الحق وأنه منَّ عليهم بوصاياه الربانية ليسيروا عليها . أما لأيّ مِلّة يحق الميراث الإلهي فمسألة تبقى معلقة مثلما تبقى مسألة الخواتم الثلاثة دون أن يبت فيها . »

أدرك صلاح الدين براعة اليهودي التي خلصته مما وضعه في طريقه من الشراك والأحابيل . فعزم على ترك التحايل والتصريح بما كان يحتاج إليه ، معترفاً بما كان يعتزم أن يفعل معه لو لم يظهر من سرعة الخاطر ما أظهره في إجابته عن السؤال المطروح عليه . فلم يتوان التاجر اليهودي عن مساعدة السلطان في كل ما طلب منه مساعدته . ولم يكتف صلاح الدين أن يرد إليه المال الذي أقرضه اليهودي إياه بل أغدق عليه الهدايا والعطايا وجعله مشرّفاً مكرّماً وسط حاشيته المقربين وظل يعتبره صديقاً من أصدقائه . »[١٢]

هكذا قصَّ علينا بوكاشيو قصة الخواتم الثلاثة وهي التي جعلها ليسينغ محور مسرحيته «ناتان الحكيم» . ومما يذكر أن الكاتب الإيطالي لم يكن مبتدع تلك القصة وإنما نجدها مروية في مجموعة قصص جمعها الراهب الدومنيكي الفرنسي اتيين ده بوربون المتوفى حوالى سنة ١٢٦١ م . ثم نجد تلك القصة مروية باللغة الفرنسية القديمة بعنوان «قصة الخاتم الأصلي» وترجع تلك الرواية إلى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي وقد ضُمّت حكاية الخواتم الثلاثة إلى مجموعة قصص خرافية منقولة عن القدماء كتبت في انجلترا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي باللغة اللاتينية ، عنوانها «مآثر الرومان» . ويرجح أن ليسينغ عرف رواية الحكاية الواردة في تلك المجموعة وكانت قصص «مآثر الرومان» من القصص التي استحسنها الناس في القرون الوسطى وأقبلوا على قراءتها وعنوا بنسخها ونقلها من اللاتينية إلى اللغات الأوروبية الدارجة ، حتى انتشرت نسخ المجموعة في البلدان الغربية . وهكذا وصلت المجموعة إلى مكتبة ولفنبيوتل وهناك عثر ليسينغ عليها ، مخطوطة ومطبوعة ، عندما أصبح مديراً للمكتبة . ولكنه أخبرنا ، كما رأينا ، بأن رواية بوكاشيو لقصة الخواتم الثلاثة هي التي حفزته إلى سبك حبكة مسرحيته عنها . وإذا كنا قد أسلفنا القول بأن ليسينغ نقل عن بوكاشيو ، روايته للقصة المذكورة ، فقد وجب علينا أن نستدرك لنقول إن الشاعر الألماني أضاف إلى صفات الخاتم الأصلي صفة لا نجد ذكرها في رواية الكاتب الإيطالي . فجعل لفص الخاتم الأصلي قوة خاصة سرية بها يصبح حامل الخاتم مقبولاً عند الله محبوباً بين الناس .

واثقاً من قوته طالما كان يحمله . وهذه الصفة التي أضافها ليسينغ إلى صفات الخاتم المذكورة في رواية بوكاشيو هي التي تزيد الحكاية عمقاً ، فتعطيها من البعد المعنوي ما كان ينقصها في الروايات القديمة التي سبقت رواية ليسينغ لها .

فحكاية الخواتم الثلاثة ، وإن كانت محور مسرحية ليسينغ إلا أنها لا تمثل حبكتها كلها فقد تناول الشاعر الحكاية في حبكة أوسع من التي وجدها في كتاب الديكاميرون . ولم يكتف بإظهار السلطان المسلم والتاجر اليهودي فوق المسرح ومواجهة بعضهما بعضاً ، بل ملأ المسرح بأشخاص تابعين للمِلل الثلاث منهم الفارس الصليبي والراهب والبطريرك السالف ذكرهم ، وأخت السلطان الذكية الأريبة ، والبنت المسيحية التي رباها ناتان في داره ، و «مقينة» تلك البنت المسيحية مثلها ، وأخيراً وليس آخراً الفقير الصوفي أو «الدرويش» المسمى اسماً يلائم تصوفه أي : الحافي ، وهو صديق من أصدقاء ناتان وإن كان أحدهما مسلماً والآخر يهودياً . وكان ليسينغ يعز عليه فراق ذلك الدرويش اللطيف الظريف لذلك أراد ـ فيما نعرف ـ تأليف مسرحية أخرى تصبح بمثابة الذيل لمسرحية «ناتان الحكيم» يجعل بطلها الفقير الحافي ، كما يبدو مما ذكره ليسينغ في مكتوب أرسله إلى أخيه كارل سنة ١٧٧٩ حيث لاحظ أن عنوان مسرحيته الجديدة سيكون «الدرويش» .

لا نريد التعمق في بيان حبكة مسرحية «ناتان الحكيم» وإنما نكتفي بتوجيه نظر القارئ إلى مشهد المسرحية الرئيسي ، أي المشهد الذي يلخص فيه التاجر اليهودي الحكيم الرسالة التي أراد ليسينغ أن

تصل إلى أذهان المشاهدين وقلوبهم ، وقد لخص ناتان الحكيم رسالة الشاعر بروايته لحكاية الخواتم الثلاثة وتلبية لأمر السلطان صلاح الدين الذي قال له : «صف لي بما بلغت من الحكمة ، الدين أو الشرع الإلهي الذي وجدته أكثر وفاء بإقناع عقل المؤمن وطمأنينة نفسه بأنه الدين الحق»[١٣] . وبعد أن يستغرق ناتان في التفكير يستأذن السلطان في إيضاح تلك المسألة بقصة يقصها عليه ، فيأذن له صلاح الدين في ذلك ، فيقص ناتان عليه القصة التالية . وهي رواية ليسينغ لحكاية الخواتم الثلاثة :

«في القديم الغابر ، كان يعيش في المشرق رجل له خاتم لا تقدر قيمته ، كان قد ورثه عن شخص اختصه بإعزازه . وكان فص الخاتم من حجر عين الهر يتلألأ متخذاً مئات من الألوان الجميلة . وكانت له قوة خاصة سرية ، وهي أنه كان يجعل حامل الخاتم مقبولاً عند الله محبوباً بين الناس ، طالما كان واثقاً بقوته تلك ، ما دام يحمله . فلا غرو أن الرجل الشرقي لم يخلعه من بنصره أبداً ، بل أوصى أن يظل الخاتم في حوذة أهل بيته ، فورّثه لأعز ابن من أبنائه ، موصياً إياه أن يورّثه بدوره لأعزّ بنيه ، دون أن يكون بالضرورة ابنه البكر فيصبح حامل الخاتم رأس البيت وأمير العشيرة لا لسبب إلا لأنه هو الذي ورث الخاتم . وهكذا انتقل الخاتم من ابن إلى ابن ، حتى انتهى إلى رجل له ثلاثة أبناء ، كانوا كلهم يوفون والدهم حقه من الطاعة فكان يجد لزاماً عليه أن يحب كل واحد منهم حبه للآخرين . إلا أنه كان يرى أول بنيه أجدر به ، وأحياناً ثالثهم ، حسبما كان يجالسه كل واحد منهم على حدة فحينذاك كان

أخواه لا يشاركانه في الحب الذي يفيضه عليه قلب والده العطوف . واضطر الأب بسبب لين عريكته أن يلجأ إلى أكذوبة بيضاء ، فوعد كل واحد من بنيه بأن يورّثه الخاتم . ودامت حالهم تلك ما دامت ، حتى أشرف الأب الطيب على الموت ، فانتابته الحيرة ، إذ آلمه أن يسيء إلى اثنين من بنيه يعتمدان على وعده . ما الحيلة ؟

ـ اتصل الأب خفية عن بنيه بصائغ وأمره بصنع خاتمين على نسق خاتمه الأصلي ، طالباً إليه ألا يوفر التكاليف أو يدخر الجهود بغية صنع الخاتمين الجديدين شبيهين بالخاتم الأصلي شبهاً كاملاً . ونجح الصائغ في ذلك العمل ، حتى لقد عجز الأب نفسه عن تمييز خاتمه الأصلي عن الآخرين عندما جاءه بالخواتم . فرح الوالد بذلك المخرج فرحاً عظيماً ، واستدعى بنيه ، كل واحد منهم على حدة ، وبارك كل واحد منهم على حدة معطياً إياه خاتماً ، ثم ما لبث أن توفي .

وبعد وفاته جاء كل واحد من بنيه ومعه خاتمه ، وكلّ منهم يدعي رياسة الأسرة . تشاوروا في الأمر ثم تخاصموا ، ثم رفعوا قضية . ولكن مجهوداتهم كانت تذهب سدى ، إذ عجزوا عن إثبات مَن مِنهم يملك الخاتم الأصلي . وعندما رفعوا الدعوى ضد بعضهم البعض أقسم كل منهم للقاضي أن خاتمه هو الذي أعطاه والده إياه مباشرة . وكانوا صادقين في قسمهم للقاضي ـ وحلف كل منهم يميناً على أن أباه كان قد وعده منذ زمن بأن يميّزه عن أخويه بإعطائه الخاتم ـ وكانوا صادقين في ذلك أيضاً . وأكد كل منهم للقاضي أنه من المستحيل أن يكون أبوه قد غالطه وأنه لا يتسامح مع الآخرين

في اتهامهم والده بمغالطته ، لأن والده قدوة في حبه لأولاده . وأهون عليه أن يرمي أخويه بمخادعته من أن يقبل الصبر على اتهام والده بذلك ويضيف أنه في غير الظروف الراهنة يجب أن يحسن ظنه بهما . ثم يهدد كل منهم متوعداً أنه سوف يفضح من خانه وينتقم منه .

عندئذ قال القاضي : «سوف أبعدكم عن كرسي القضاء هذا ، إن لم تسارعوا في إحضار أبيكم . أرأيتم ، هل أنا موكل بحل الألغاز ؟ أو تودون أن تنتظروا حتى يكلمنا الخاتم الأصلي مبيناً أمره ؟ ولكنني في هذه القضية سمعت منكم أن للخاتم الأصلي قوة عجيبة ، تجعل حامله مقبولاً عند الله محبوباً بين الناس . هذا هو المقياس الذي به نقيس أمركم . فمن المتوقع أن الخاتمين الزائفين يفتقران إلى تلك القوة . إذاً ، من هو الأحب منكم إلى الاثنين الآخرين ؟ هيا ، أجيبوا أتسكتون ؟ أتقصر قدوة الخاتم على التأثير على حاملها ، فلا تؤثر في أحد سواه ؟ إذاً كل منكم لا يحب إلا نفسه . إذاً كلكم لستم إلا مخاتلين ، وخواتمكم الثلاثة مزيفة كلها بل من المحتمل أن الخاتم الأصلي قد ضاع ، وأن أباكم أمر بصنع الخواتم الثلاثة ليخفي عليكم ضياع الخاتم الأصلي الوحيد وليعوضكم عنه ..» واستطرد القاضي قائلاً : «فإذا كنتم لا تريدون الإصغاء لنصيحتي بدلاً من الاستماع لحكمي ، فاذهبوا . أما نصيحتي لكم ، فهي أن تعترفوا بواقع الأمر وذلك أن كان كل واحد منكم نال خاتمه من يد أبيه ، فليعتقد بأصالة خاتمه اعتقاداً ثابتاً . فمن الجائز أن والدكم لم يطق الصبر على حكم الخاتم الواحد على أهل بيته . ومن الواضح

أن والدكم كان يحبكم أنتم الثلاثة جميعاً ، وأنه أحب كل واحد منكم حبه للآخر . فلم يرد الاجحاف باثنين منكم تفضيلاً لأحدكم ، هلموا . فليجتهد كل منكم في سبيل الاقتداء بوالدكم الذي كان يحبكم محبة مخلصة بريئة من التحيّز لواحد منكم خالية من التحامل على أي واحد منكم . فليتنافس كل منكم في إظهار القوة الخاصة بفص خاتمه . وليساعد على إظهار تلك القوة بأن يكون متلاطفاً متساهلاً مع الناس محسناً إليهم متوكلاً على الله . ثم بعد أن تنصرم آلاف السنين وبعد أن تكون فصوص الخواتم قد أظهرت قوة تأثيرها في أحفاد أحفادكم يستدعون للحضور أمام كرسي القضاء هذا وحينئذ سوف يجلس على الكرسي رجل أحكم مني يستطيع أن يحكم على حملة الخواتم الثلاثة . أما الآن فأستودعكم الله »[١٤] . هكذا انتهى قول القاضي المتواضع .

وبهذا يتم ناتان الحكيم روايته لتلك الحكاية . أما نحن فنستأذن القارئ في أن يخلو لنفسه للتأمل في الدقائق المختلفة التي رصّع بها ليسينغ روايته لحكاية الخواتم الثلاثة آملين أن نكون قد نجحنا في نقل بعض تلك الدقائق عن الأصل الألماني إلى ترجمتنا العربية .

توفي ليسينغ بعد مرور سنتين على تأليف مسرحيته «ناتان الحكيم» كما ذكرنا من قبل . ولما كان الشاعر قد أكسب بطله ناتان من الصفات ما يتحلىّ به صديقه «موسى مندلسون» ، فاننا نراه جديراً بأن نختصه بالكلمة الختامية . وذلك بأن نتمثل بما عبر عنه المفكر اليهودي بعد وفاة صديقه الشاعر المسيحي مقدماً تعازيه إلى أخي صديقه كارل ليسينغ حيث قال : «يا عزيزي ، إذا فكرنا بإمعان في جميع

الأحوال المتعلقة بحياة أخيك ووفاته ، وجب علينا القول إن أخاك مات في وقته ولا أعني بوقته الوقت المناسب للنظام الكوني العام فحسب إذ لا نجد في ذلك النظام أي حادث يحدث في غير وقته بل إنني أعطي العبارة معنى ثانياً فأقول إن موت أخيك حدث في الوقت المناسب لدائرة تجاربنا البشرية التي لا يكاد قطرها يبلغ شبراً واحداً . وقد قال الكاتب الفرنسي فونتنيل عن الفلكي كوبرنيكس «إنه أعلن نظام العالم الذي كان قد اكتشفه ومات . وكذلك يصح لمن يكتب سيرة حياة أخيك أن يقول إنه كتب مسرحيته «ناتان الحكيم» ومات»[١٥] .

الفهرست الأول
الأسماء الأجنبية التي تتابعها في نص الكتاب

Anhang I:

Gotthold Ephraim Lessing(1729-1781)	غوتهولد أفرائيم ليسينغ
Berengarius Turonensis (— 1088)	بيرينجار التوروني
Daniel Defoe (1660-1731)	دانيال ديفو
Robinson Crusoe	روبنسن كروزو
Jacob Grimm (1785-1863)	يعقوب غريم
Wilhelm Grimm (1786-1859)	ويلهلم غريم
Nathan der Weise	ناتان الحكيم
Minna von Barnhelm	مينا فون بارنهلم
Johann Sebastian Bach (1685-1750)	يوحنا سيبستيان باخ
Leipzig	لايبسيك
Immanuel Kant (1724-1804)	عمانوئيل كانط
Kamenz	كامينتس
Meissen	مايسن
Friedrich II. (1712-1786)	فريدريش الثاني
Voltaire (1694-1778)	فولتير
Samuel Henzi (1701-1749)	صاموئيل هينتسي
Bern	بيرن
Hamburg	هامبورج

Klopstock (1724-1803)	كلوبشتوك
Ekhof (1720-1778)	إيكهوف
Amsterdam	أمستردام
Breslau	بريسلاو
von Tauentzien (1710-1791)	فون تاونتسين
Hermann Samuel Reimarus (1694-1768)	هيرمان صاموئيل رايمارس
Engelbert König (— 1770)	إنجلبرت كيونيغ
Eva König (— 1778)	حواء كيونيغ
Wolfenbüttel	وُلفنبيوتل
Braunschweig	برونسويك
von Liebhaber	فون ليبهابر
Emilia Galotti	إميليا غالوتي
Moses Mendelssohn (1729-1786)	موسى مندلسون
Felix Mendelssohn Bartholdy (1809-1847)	فيلكس مندلسون برتولدي
Barthélemy d'Herbelot (1625-1695)	بارتيليمي دربلو
Olfert Dapper (— 1691)	أولفرت دابر
François Louis Claude Marin (1721-1809)	فرنسوا لوى كلود مارين
Albert Schultens (1686-1750)	آلبرت شولتنس
Marigny (ca. 1690-1792)	مارينيي
Johann Jacob Reiske (1716-1774)	يوحنا يعقوب رايسكه
Homeros (vor 700 v. Chr.)	هوميروس

Laokoon	لاؤكوون
Girolamo Cardano (1501-1576)	جيرولامو كاردانو
Giovanni Boccaccio (1313-1375)	جيوفاني بوكاشيو
Karl Witte (1800-1883)	كارل ويته
Étienne de Bourbon (— ca. 1261)	إتيين ده بوربون
Karl Lessing (1740-1812)	كارل ليسينغ
Fontenelle (1657-1757)	فونتنيل
Kopernikus (1473-1543)	كوبرنيكس

الفهرست الثاني
النصوص الألمانية التي ترد معرّبة في نص الكتاب

Anhang II: Die deutschen Vorlagen der Texte, die in arabischer Ubersetzung vorkommen.

1. Hofrat E. D. von Liebhaber über Lessing:
   "Ein Gelehrter gewöhnlichen Schlages ist er nicht, das habe ich weg. Er hat überhaupt etwas Ungewöhnliches an sich, etwas Festes. Ich sähe ihn lieber in einer Uniform als in der Bibliothek."
   (Zitiert nach: Wolfgang Drews, Gotthold Ephraim Lessing in Selbstzeugnissen und Bilddokumenten, Reinbek bei Hamburg 1974 (rowohlts monographien Nr. 75), S. 124.)
2. Lessing, Emilia Galotti, Schluss:
   "Gott! Gott! — Ist es, zum Unglücke so mancher, nicht genug, dass Fürsten Menschen sind: müssen sich auch noch Teufel in ihren Freund verstellen?".
3. Lessing in einer "Vorrede" zu "Nathan":
   "Noch kenne ich keinen Ort in Deutschland, wo dieses Stück schon jetzt aufgeführt werden könnte. Aber Heil und Glück dem, wo es zuerst aufgeführt wird."

(Zitiert nach: Erläuterungen und Dokumente: Gotthold Ephraim Lessing, Nathan der Weise. Herausgegeben von Peter von Düffel. Stuttgart 1972 (Reclams Universal-Bibliothek Nr. 8118 (2)), S. 114.)

4. Immanuel Kant: Beantwortung der Frage: Was ist Aufklärung? "Aufklärung ist der Ausgang des Mensche aus seiner selbst verschuldeten Unmündigkeit. Unmündigkeit ist das Unvermögen, sich seines Verstandes ohne Leitung eines anderen zu bedienen. Selbstverschuldet ist diese Unmündigkeit, wenn die Ursache derselben nicht am Mangel des Verstandes, sondern der Entschliessung und des Muthes liegt, sich seiner ohne Leitung eines andern zu bedienen... Faulheit und Feigheit sind die Ursachen, warum ein so grosser Theil der Menschen, nachdem sie die Natur längst von fremder Leitung frei gesprochen..., dennoch gerne zeitlebens unmündig bleiben; und warum es Anderen so leicht wird, sich zu deren Vormündern aufzuwerfen. Es ist so bequem, unmündig zu sein... — Zu dieser Aufklärung aber wird nichts erfordert als Freiheit; und zwar die unschädlichste unter allem, was nur Freiheit heissen mag, nämlich die: von seiner Vernunft in allen Stücken öffentlichen Gebrauch zu machen."

(Zitiert nach: Karl Vorländer, Philosophie der Neuzeit: Die Aufklärung. Geschichte der Philosophie V, Reinbek bei Hamburg 1967 (rowohlts deutsche enzyklopädie Nr. 281), S. 246/7.)

5. Kant über Moses Mendelssohn:

   "... ein nie von seinem Werte verlierendes Denkmal der Scharfsinnigkeit."

   (Zitiert nach K. Vorländer, op. cit. p. 97.)

6. Aus Lessings "Vorrede des übersetzers" zu "Des Abts von Marigny Geschichte der Araber unter der Regierung der Kalifen", erster Teil, 1753:

   "Die Ursachen, welche der Abt von Marigny gehabt hat, diese Geschichte der Araber zu schreiben, sind eben die Ursachen, welche mich bewogen haben, seine Arbeit zu übersetzen. Er fand in seiner Sprache sehr wenig Nachrichten von einem Volke, dessen Thaten unsrer Neugierde nicht unwürdiger sind als die Thaten der Griechen und Römer; ich fand in der meinigen fast gar keine."

7. Aus Lessings Ankündigung von Marignys "Geschichte der Araber" aus der Berlinischen privilegierten Zeitung vom 31. Mai 1753:

   "Manche sind in der Geschichte berühmt, und manche sollten es sein. Die Araber gehören zu den letztern... —

Man bilde sich aber nicht ein, dass sie sich bloss als tapf-
re Barbaren zeigten: auch die Tugend, und oft eine
mehr als christliche Tugend war unter ihnen be-
kant.."

8. Aus Lessings "Kollektaneen":
"Abulola Ahmed. Ein berühmter arabischer Dichter.
Er lebte zu Maarra in Syrien, in der ersten Hälfte des
elften Jahrhunderts. Er hatte bereits in seinem dritten
Jahre durch die Blattern das Gesicht verloren und
konnte sich, wie er sagte, von allem, was er vorher
gesehen, nur der einzigen roten Farbe annoch erinnern.
Gleichwohl sollen in seinem Gedichte Schilderungen
sichtbarer Gegenstände vorkommen, denen es weder
an Wahrheit noch Lebhaftigkeit fehlt."

9. Aus Lessings "Rettung des Hieronymus Cardanus"
(1754): "Man sage nicht, dass die Prüfung seiner eignen
Religion schon zureiche, dass es nicht nötig sei, die
Merkmale der Göttlichkeit, wenn man sie an dieser
schon entdeckt habe, auch an andern aufzusuchen.
Man bediene sich des Gleichnisses nicht, dass, wenn
man einmal den rechten Weg wisse, man sich nicht um
die Irrwege zu bekümmern brauche. -- Man lernt nicht
diese durch jenen, sondern jenen durch diese kennen."

10. Aus Lessing, "Nathan der Weise", 4. Aufzug, 7. Auftritt:

Nathan:

Ihr traft mich mit dem Kinde zu Darun.
Ihr wisst wohl aber nicht, dass wenig Tage
Zuvor, in Gath die Christen alle Juden
Mit Weib und Kind ermordet hatten; wisst
Wohl nicht, dass unter diesen meine Frau
mit sieben hoffnungsvollen Söhnen sich
befunden, die in meines Bruders Hause,
zu dem ich sie geflüchtet, insgesamt
verbrennen müssen...

Als
Ihr kamt, hatt' ich drei Tag' und Nächt' in Asch'
Und Staub vor Gott gelegen, und geweint. -
Geweint? Beiher mit Gott auch wohl gerechtet,
Gezürnt, getobt, mich und die Welt verwünscht;
Der Christenheit den unversöhnlichsten
Hass zugeschworen - ...
Doch nun kam die Vernunft allmählich wieder.
Sie sprach mit sanfter Stimm': "und doch ist Gott!
Doch war auch Gottes Ratschluss das! Wohlan!
Komm! übe, was du längst begriffen hast,
Was sicherlich zu üben schwerer nicht,

Als zu begreifen ist, wenn du nur willst.
Steh auf!" - Ich stand! und rief zu Gott: ich will!
Willst du nur, dass ich will! - Indem stiegt Ihr
vom Pferd, und überreichtet mir das Kind,
In Euern Mantel eingehüllt. - Was Ihr
Mir damals sagtet; was ich Euch: hab ich
vergessen. Soviel weiss ich nur; ich nahm
das Kind, trug's auf mein Lager, küsst' es, warf
Mich auf die Knie und schluchzte: Gott! auf Sieben
Doch nun schon Eines wieder!

Klosterbruder: Nathan! Nathan!
Ihr seid ein Christ! - Bei Gott, Ihr seid ein Christ!
Ein bessrer Christ war nie!

Nathan: Wohl uns! Denn was
Mich Euch zum Christen macht, das macht Euch mir
Zum Juden!

11. Lessing im Entwurf zu einer "Vorrede" zu "Nathan":
"Es ist allerdings wahr, und ich habe keinem meiner Freunde verhehlt, dass ich den ersten Gedanken zum Nathan im Dekameron des Boccaz gefunden. Allerdings ist die dritte Novelle des ersten Buchs, dieser so reichen Quelle theatralischer Produkte, der Keim, aus dem sich Nathan bei mir entwickelt hat."

(Zitiert nach: Erläuterungen und Dokumente..., S. 112/3.)

12. Aus: Boccaccio, Das Dekameron, übersetzt von Karl Witte, Band 1, Leipzig 1859 (3. Auflage), S. 49-53:
"Saladin, dessen Tapferkeit so gross war, dass sie ihn nicht nur von einem geringen Manne zum Sultan von Babylon erhob, sondern ihm auch vielfache Siege über sarazenische und christliche Fürsten gewährte, hatte in zahlreichen kriegen und in grossartigem Aufwand seinen ganzen Schatz geleert, und wusste nun, wo neue und unerwartete Bedürfnisse wieder eine grosse Geldsumme erheischten, nicht, wo er sie so schnell, als er ihrer bedurfte, auftreiben sollte. Da erinnerte er sich eines reichen Juden, Namens Melchisedech, der in Alexandrien auf Wucher lieh und nach Saladin's Dafürhalten wol im Stande gewesen wäre, ihm zu dienen, aber so geizig war, dass er von freien Stücken es nie gethan haben würde. Gewalt wollte Saladin nicht brauchen; aber das Bedürfniss war dringend, und es stand bei ihm fest, auf eine oder die andere Art solle der Jude ihm helfen. So sann er denn nur auf einen Vorwand, unter einigem Schein von Recht ihn zwingen zu können.
Endlich liess er ihn rufen, empfing ihn auf das freund-

lichste, hiess ihn neben sich sitzen und sprach alsdann: "Mein Freund, ich habe schon von vielen gehört, du seiest weise und habest besonders in göttlichen Dingen tiefe Einsicht; nun erführe ich gern von dir, welches unter den drei Gesetzen du für das wahre hältst, das jüdische, das sarazenische oder das christliche. "Der Jude war in der That ein weiser Mann und erkannte wohl, dass Saladin ihm solcherlei Fragen nur vorlegte, um ihn in seinen Worten zu fangen; auch sah er, dass, welches von diesen Gesetzen er vor den andern loben möchte, Saladin immer seinen Zweck erreichte. So bot er denn schnell seinen ganzen Scharfsinn auf, um eine unverfängliche Antwort, wie sie ihm noth that, zu finden, und sagte dann, als ihm plötzlich eingefallen war, wie er sprechen sollte: "Mein Gebieter, die Frage, die Ihr mir vorlegt, ist schön und tiefsinnig; soll ich aber meine Meinung darauf sagen, so muss ich Euch eine kleine Geschichte erzählen, die Ihr sogleich vernehmen sollt. Ich erinnere mich, oftmals gehört zu haben, dass vor Zeiten ein reicher und vornehmer Mann lebte, der vor allen andern auserlesenen Juwelen, die er in seinem Schatze verwahrte, einen wunderschönen und kostbaren Ring werth hielt. Um diesen seinem Werthe und seiner Schönheit nach zu

ehren und ihn auf immer in dem Besitze seiner Nachkommen zu erhalten, ordnete er an, dass derjenige unter seinen Söhnen, der den Ring, als vom Vater ihm übergeben, würde vorzeigen können, für seinen Erben gelten und von allen den andern als der vornehmste geehrt werden solle. Der erste Empfänger des Ringes traf unter seinen Kindern ähnliche Verfügung und verfuhr dabei wie sein Vorfahre. Kurz der Ring ging von Hand zu hand auf viele Nachkommen über. Endlich aber kam er in den Besitz eines Mannes, der drei Söhne hatte, die sämmtlich schön, tugendhaft und ihrem Vater unbedingt gehorsam, daher auch gleich zärtlich von ihm geliebt waren. Die Jünglinge kannten das Herkommen in Betreff des Ringes, und da ein jeder der Geehrteste unter den Seinigen zu werden wünschte, baten alle drei einzeln den Vater, der schon alt war, auf das inständigste um das Geschenk des Ringes. Der gute Mann liebte sie alle gleichmässig und wusste selber keine Wahl unter ihnen zu treffen; so versprach er denn den Ring einem jeden und dachte auf ein Mittel, alle zu befriedigen. Zu dem Ende liess er heimlich von einem geschickten Meister zwei andere Ringe verfertigen, die dem ersten so ähnlich waren, dass er selbst, der doch den Auftrag gegeben, den

rechten kaum zu erkennen wusste. Als er auf dem Todbette lag, gab er heimlich jedem der Söhne einen von den Ringen. Nach des Vaters Tode nahm ein jeder Erbschaft und Vorrang für sich in Anspruch, und da einer dem andern das Recht dazu bestritt, zeigte der eine wie die andern, um die Forderung zu begründen, den Ring, den er erhalten hatte, vor. Da sich nun ergab, dass die Ringe einander so ähnlich waren, dass niemand, welcher der echte sei, erkennen konnte, blieb die Frage, welcher von ihnen des Vaters wahrer Erbe sei, unentschieden, und bleibt es noch heute.

So sage ich Euch denn, mein Gebieter, auch von den drei Gesetzen, die Gott der Vater den drei Völkern gegeben, und über die Ihr mich befraget. Jedes der Völker glaubt seine Erbschaft, sein wahres Gesetz und seine Gebote zu haben, damit es sie befolge. Wer es aber wirklich hat, darüber ist, wie über die Ringe, die Frage noch unentschieden."

Als Saladin erkannte, wie geschickt der Jude den Schlingen entgangen sei, die er ihm in den Weg gelegt hatte, entschloss er sich, ihm geradezu sein Bedürfniss zu gestehen. Dabei verschwieg er ihm nicht, was er zu thun gedacht habe, wenn jener ihm nicht mit so viel Geistesgegenwart geantwortet hätte. Der Jude diente

Saladin mit allem, was dieser von ihm verlangte, und Saladin erstattete jenem nicht nur das Darlehn vollkommen, sondern überhäufte ihn noch mit Geschenken, gab ihm Ehre und Ansehen unter denen, die ihm am nächsten standen, und behandelte ihn immerdar als seinen Freund."

(Zitiert nach: Erläuterungen und Dokumente..., S. 75-77.)

13. Lessing, aus "Nathan der Weise", 3. Aufzug, 5. Auftritt:

Saladin: Da du nun
So weise bist: so sage mir doch einmal-
Was für ein Glaube, was für ein Gesetz
Hat dir am meisten eingeleuchtet?

14. Lessing, aus "Nathan", 3. Aufzug, 7. Auftritt:

Nathan:
Vor grauen Jahren lebt' ein Mann in Osten,
Der einen Ring von unschätzbarem Wert
aus lieber Hand besass. Der Stein war ein
Opal, der hundert schöne Farben spielte,
Und hatte die geheime Kraft, vor Gott
und Menschen angenehm zu machen, wer
in dieser Zuversicht ihn trug. Was Wunder,
dass ihn der Mann in Osten darum nie

Vom Finger liess; und die Verfügung traf,
Auf ewig ihn bei seinem Hause zu
Erhalten? Nämlich so. Er liess den Ring
Von seinen Söhnen dem geliebtesten;
Und setzte fest, dass dieser wiederum
Den Ring von seinen Söhnen dem vermache,
Der ihm der liebste sei; und stets der liebste,
Ohn' Ansehn der Geburt, in Kraft allein
Des Rings, das Haupt, der Fürst des Hauses werde. - ...
So kam nun dieser Ring, von Sohn zu Sohn,
Auf einen Vater endlich von drei Söhnen;
Die alle drei ihm gleich gehorsam waren,
Die alle drei er folglich gleich zu lieben
Sich nicht entbrechen konnte. Nur von Zeit
Zu Zeit schien ihm bald der, bald dieser, bald
Der dritte, - sowie jeder sich mit ihm
Allein befand, und sein ergiessend Herz
Die andern zwei nicht teilten, - würdiger
Des Ringes; den er denn auch einem jeden
Die fromme Schwachheit hatte, zu versprechen.
Das ging nun so, solang es ging. - Allein
Es kam zum Sterben, und der gute Vater
Kömmt in Verlegenheit. Es schmerzt ihn, zwei
Von seinen Söhnen, die sich auf sein Wort

Verlassen, so zu kränken. - Was zu tun?
Er sendet in geheim zu einem Künstler,
Bei dem er, nach dem Muster seines Ringes,
Zwei andere bestellt, und weder Kosten
Noch Mühe sparen heisst, sie jenem gleich,
Vollkommen gleich zu machen. Das gelingt
Dem Künstler. Da er ihm die Ringe bringt,
Kann selbst der Vater seinen Musterring
Nicht unterscheiden. Froh und freudig ruft
Er seine Söhne, jeden insbesondre;
Gibt jedem insbesondre seinen Segen, -
Und seinen Ring,- und stirbt...
Kaum war der Vater tot, so kömmt ein jeder
Mit seinem Ring, und jeder will der Fürst
Des Hauses sein. Man untersucht Man zankt
Man klagt. Umsonst; der rechte Ring war nicht
Erweislich...

Wie gesagt: die Söhne
Verklagten sich; und jeder schwur dem Richter,
Unmittelbar aus seines Vaters Hand
Den Ring zu haben. - Wie auch wahr! - Nachdem
Er von ihm lange das Versprechen schon
Gehabt, des Ringes Vorrecht einmal zu
Geniessen. - wie nicht minder wahr! - Der Vater,

Beteurte jeder, könne gegen ihn
Nicht falsch gewesen sein; und eh' er dieses
Von ihm, von einem solchen lieben Vater
Argwohnen lass': eh' müss' er seine Brüder,
So gern er sonst von ihnen nur das Beste
Bereit zu glauben sei, des falschen Spiels
Bezeihen; und er wolle die Verräter
Schon auszufinden wissen; sich schon rächen...
Der Richter sprach: Wenn ihr mir nun den Vater
Nicht bald zur Stelle schafft, so weis ich euch
Von meinem Stuhle. Denkt ihr, dass ich Rätsel
Zu lösen da bin? Oder harret ihr,
Bis dass der rechte Ring den Mund eröffne? -
Doch halt! Ich höre ja, der rechte Ring
Besitzt die Wunderkraft beliebt zu machen;
Vor Gott und Menschen angenehm. Das muss
Entscheiden! Denn die falschen Ringe werden
Doch das nicht können! - Nun; wen lieben zwei
Von Euch am meisten? - Macht, sagt an! Ihr schweigt?
Die Ringe wirken nur zurück? und nicht
Nach aussen? Jeder liebt sich selber nur
Am meisten? - Oh, so seid ihr alle drei
Betrogene Betrüger! Eure Ringe
Sind alle drei nicht echt Der echte Ring

Vermutlich ging verloren. Den Verlust
Zu bergen, zu ersetzen, liess der Vater
Die drei für einen machen...
Und also, fuhr der Richter fort, wenn ihr
Nicht meinen Rat, statt meines Spruches, wollt:
Geht nur! - Mein Rat ist aber der: ihr nehmt
Die Sache völlig wie sie liegt. Hat von
Euch jeder seinen Ring von seinem Vater:
So glaube jeder sicher seinen Ring
Den echten. - Möglich; dass der Vater nun
Die Tyrannei des einen Rings nicht länger
In seinem Hause dulden wollen! - Und gewiss;
Dass er euch alle drei geliebt, und gleich
Geliebt: indem er zwei nicht drücken mögen,
Um einen zu begünstigen. - Wohlan!
Es eifre jeder seiner unbestochnen
Von Vorurteilen freien Liebe nach!
Es strebe von euch jeder um die Wette,
Die kraft des Steins in seinem Ring' an Tag
Zu legen! komme dieser Kraft mit Sanftmut,
Mit herzlicher Verträglichkeit, mit Wohltun,
Mit innigster Ergebenheit in Gott
Zu Hilf'! Und wenn sich dann der Steine Kräfte
Bei euern Kindes-Kindeskindern äussern:

So lad ich über tausend tausend Jahre
Sie wiederum vor diesen Stuhl. Da wird
Ein weisrer Mann auf diesem Stuhle sitzen
Als ich; und sprechen. Geht! - So sagte der
Bescheidne Richter.

15. Moses Mendelssohn in einem Brief an Karl Lessing: "Alles wohl überlegt, mein Liebster! ist Ihr Bruder gerade zur rechten Zeit abgegangen, nicht nur in dem Plane des Weltalls zur rechten Zeit: denn da geschieht eigentlich nichts zur Unzeit, sondern auch in unserer eigenen Sphäre, die kaum eine Spanne zum Durchmesser hat, zur rechten Zeit. Fontenelle sagt von Kopernikus: Er machte sein neues System bekannt und starb. Der Biograph Ihres Bruders wird mit eben dem Anstande sagen können: er schrieb Nathan den Weisen und starb.-"
(Zitiert nach: Gotthold Ephraim Lessings Gespräche nebst sonstigen Zeugnissen aus seinem Umgang. Zum erstenmal gesammelt und herausgegeben von Flodoard Freiherrn von Biedermann, Berlin 1924, S. 316.)

Peter Bachmann

Gotthold Ephraim Lessing (1729-1781) und die Geschichte von den drei Ringen.

Bemerkungen zur Rolle des arabisch-islamischen Orients im Werk des deutschen Dichters.

Kairo 1984/1404

مطابع الشروق

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN